

على السَّفود



وَالسَّفُودُ نَارٌ لَوْ تَلَقَّتْ بِجَاحِهَا حَدِيدًا ظَنَّ شَجَاً
وَيَشْوَى الصَّخْرَ يَبْرُكُهُ رَمَادًا فَكَيْفَ وَقَدْ رَمَيْتُكَ فِيهِ لَحْمًا

ذبابة !! ولكن من طراز زبلن ...

إي والله ، لو أن ذبابة من الذباب سخط الله عليها فابتلاها بمثل ما ابتلي به العقاد
الشاعر الفيلسوف !! المراحضي !! من الغرور ودعوى الغرور ووقاحة الغرور
لذهبت في قومها تزعم أنها من طراز زبلن وأنها في قدره وقوته ولا أقل من أن
يكون زبلن هذا عمها أو ابن عمها والافهو ذبابة من ذباب ما وراء الطبيعة جاءت
خاصة لترى فيها هي ذبابة الطبيعة ، فكلاهما (١) عظيم وكلاهما جبار قوة وذهن ..

(١) التذكير على اعتبار أن الذبابة خيل لها أنها زبلن

قالوا وتغيب الذباب المأفونة سحابة من نهار ويراهما الذباب قاطبة محتبئة في روث دابة... ثم تقذف بنفسها في الجو عالية ثم تكسر ثم تنقض ثم تدور ثم تهبط ثم تقرر على الأرض، فيقلن لها أين كنت لا كنت ويحك؟ قالوا فتجيبهن أنها كانت مع المنطاد زبلن... وكانا معاً في رحلة حول الأرض... وكاد زبلن المسكين يتحطم في العاصفة لولا أنها ضربت حوله بجناحيها ضربات دفعت له الهواء دفعاً أقوى من العاصفة، وبضربة ترفعه من حيث يتكفأ، وبضربة تمسكه من حيث يميل، وبضربة تخلق تحته طبقة زخرة في الجو، وهكذا لدماً ولحماً ولطماً في صدر العاصفة وعلى وجهها وقفاها، إلى أن ولت هاربة، وتركت زبلن فنجاً وماكاد ينجو... قالوا وتضحك الذباب وتعلن لها: أيتها المأفونة! لو قلت إنك عصافورة من عصافير الفردوس دافعت أمام عرش الله عن آدم وحواء فطردت معهما إلى الأرض، لكان ذلك أشبه بالصدق من دعواك أنك من طراز زبلن، وتساميك في الدعوى إلى الرحلة معه حول الأرض، وتناهيك في السمو إلى الدفاع عنه في أجواز الفضاء وتأهلك آخراً في ضربك العاصفة وهزيمته بجناحيك على أن هذا كله منك وأنت بأعيننا محتبئة في هذه الرمثة من هذه البهيمة في هذه المزللة ساعة وخمساً وأربعين دقيقة... أخزأك الله. أفي روث دابة زبلن وساء وعاصفة وطواف حول الأرض؟

هذا وحقك ياسيدي القاري، هو مثل العقاد لو أفصحت الحقيقة عن نوع غروره وحقائقه ومقدارهما في الأدب والفلسفة والكتابة والشعر، فلقد كاد يقول للمغفلين من أمثاله وللخدوعين فيه: انبحوا في عن الآله، بل ما أراه إلا أدعاه في هذيانه الذي قال فيه

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمن!!!

وقد مرت الإشارة إلى هذا البيت وسخافة القصيدة التي هو منها

أما نحن فبحسبنا فيه فلم نر إلا لصاً وعرفناه فلم نعرف إلا لثيماً وقشقه النقد فلم يجد إلا صاحب مرعاضه..

ياسلام. لماذا أنت سوداء أيتها الخنفساء؟ قالت لأنني الشخصية اللامعة في الكون!!

ياسلام. لماذا أنت مغرور أيها العقاد المراهيضي؟ قال لأنني أذكر من سعد باشا وأبلغ

من سعد باشا. هذا ياسيدي وسيد كل أديب على وجه الأرض.. كلام خنفسائي.

قل شيئاً آخر . قل لنا مثلاً إن الحقيقة المضحكة الساخرة القائمة في نفسك والتي هي مبعث شعورك والتي خلعتها أنت على نفسك بأوهامها وزخارفها وتلاوينها ، هي بعينها تلك الحقيقة القديمة التي لبسها من قبلك العجل أيس ! غير أنه ظلم بها وحبس فيها وجاءته من الناس ، و تراها أنت عدلاً وحرية فذكر ... وجاءتك من نفسك . وإلا فأفهمنى بغير الكلام الخنفسائي !! ما الفرق بين عجل يقال إنه بين الناس إما له أو صورة إما له ، وبين رجل مثلك يقول عن نفسه بنفسه لنفسه .. أنه بين الناس رحمن !

نعم أنك مثلت فضولا لافصلا واحداً — في روايه الغرور والدعوى (ولعبتها) كما يقول طه حسين ، ولبست للناس ثياب الرواية ، ولكنني رأيتك بعد منساقاً في الحياة وراء المعاني المكذوبة التي مثلتها تدعيها ولا تفارقها ، فبربك هل رأيت أثقل على النفس ممن كان مرة على المسرح ، أمام من دفعوا خمسة قروش وعشرة قروش ، وكان هرون الرشيد ، وكان له زبيدة وجعفر ومسرور ، وكانت الرواية ، ثم يمر يوماً على قسم الموسيقى فيومي للعسكري الواقف على الباب ويقول له : يا مسرور ! اذهب الآن فاكبس دار فلان (أرجو من فضلك أن يكون غيري) واتنى برأسه ! وقل لزبيدة وقل لجعفر ! أنت والله يا عقاد في دعواك وغرورك الأدبي أثقل وأبرد من هذا ثلاث مرات ، والذي يقول لك غير هذا فهو إنما يهزأ بك إن كان ذا رأى وكان لرأيه وزن .

*
* *

رأى القراء في السفود السادس خبط العقاد في نقل كلام شوبنهاور واستخراجه النتيجة منه على رغم أنف هذا الفيلسوف الكبير وادعائه أن ذلك رأى ابتكره وقات به العقول وأصحابها . ولكن بقي أن أعرف جواب هذا السؤال : هل في الشرق كله رجل يفهم ويرى نفسه في حاجة الى رأى عباس محمود العقاد ... في الرد على فلاسفة أوروبا وجابرة الذهن فيها ؟ وهل يكون الرد للشرقيين وينشر في الشرق ، أم للغربيين وينشر في أوروبا ؟ وكم مقالة في مثل ذلك كتبها العقاد في صحف إنجلترا والمانيا وفرنسا ؟ وما ذا كان تأثيرها ؟ وما ذا قالت تلك الامم عن جبار الذهن المصرى ؟ وهل غيرتنا نحن به ام غيرت به فلاسفتها وكتابها ؟

هذا كله سؤال واحد يفضى بعضه الى بعض لانه ان وقع شيء من ذلك وقع

الكل . فأجيبونا أيها القراء . إنه ان لم يثبت ذلك كله انتهى كل ذلك وأصبحنا من العقاد وغروره ودعواه في هواه وفضاه . فلم يبق الا ان العقاد وأشباهه هم المحتاجون الى الرد في هذا المشرق المسكين على شربتهور ونيثشه وغيرها تدجيلا وتعمية ويخدوا ما يتعلقون عليه حين يجدون ماعم مضطرون اليه . فان البلية والبلية كلها آتية من عقول مضطرة للعمل العقلي اذ كان وسيلة العيش لاصحابها الذين يحترفون الكتابة في صحف تسمى صحفا على المجاز ، اى باعتبار الطبع والورق !! .

وكانت عقولهم ضعيفة رخوة اذ نشأت على طبيعة كطبيعة التسلق النباتي فلم تبلغ درجة الأحكام والفصل . ثم لا يعملون بها وهي عندهم وسائل عيش ذئبة كعربة الحوذى مثلا — الاعمل العبقريين بوسائلهم العقلية العالية . فمن ثم لا يكون مهمهم الا الاغارة على آثار العقول الناضجة الصحيحة بلا نقد ولا تهميص ولا بد حيثئذ من التشوية والمسخ ليعملوا عملا من عند أنفسهم فيقع الضرر من ناحيتين ، ناحية ضعفهم ، وناحية اضطرابهم .

وبذلك ينحدرون الى اضطراب شر من الاول فيرتطبون فيه وهو التقطع والجزم هنا، فيما هو فرض أو تجربة هناك . والبناء على هذا الاساس الواهي بناء يثبت أن صاحبه جبار ذهن !!! فقد لا يكون الفكر المنقول او المسروق شيئا يذكر وقد يكون شيئا قليلا ولكن (بعملية جبار ذهن . . .) يصبح عندنا وأقل ما يوصف به أنه دليل على أن الكاتب جبار ذهن عبقري .

هي (عملية) الخلق الجديد بالتشويه والمسخ والتعمية ومداخلة الأقوال والأفكار بعضها في بعض النسخ والحق والعقاد اكبر اختصاصي ، في هذه العملية ، لانه لاجياء فيه ولا ذمة، فهو بذلك كاتب عربي عظيم، ولكنه في الوقت نفسه أرضة كتب انجليزية لو عثر به شاعر او كاتب انجليزي لذهب واشترى لكنته (نفتالين) يطرد به هذا العث المسمى العقاد . . . الذي يدأب في (أكل كنته) وثمره العقلية

ooo

والآن قد ظهرت وجوه العقاد من نواحيه المتشقة وعليها صفعات البراهين وقرأ القراء كما يقال في لغة الملاكمة « يقيس الأرض بطوله » . . . (١) فلنودع ديوانه

(١) يكون بها عن سقوط المصروع الى الارض وتمرغه عليها بضربة قاضية

بنظرات سريعة تقلبه فيها كيفما اتفق، فهذه هي عادتنا في نقده اذ لا يداخلنا شك أن في كل صفحة من ديوانه سرقات وغلطات وحماقات . ولم نعرض ولا نريد ان نعرض الى بيان فساد معانيه . فنقول هذا ضعيف وهذا ركيك، ولو قال كذا لكان أحسن النخ النخ . فان كل هذا لا يغض من العقاد عند العقاد ، وان نزل به في تقدير القراء والادباء لان الرجل كما تعلم فاسد الذوق ومن أقوى طباعه المسكبرة ومن أوكد أسبابه عدم المبالاة . فاذا قلت له هذا عندي ضعيف قال لكنه عندي قوى وان قلت هو فاسد فيما أرى . قال وهو فيما أرى صحيح . وهكذا لا تفتح عليه باباً الا خرج من باب يقابله . ولكنك حين تقول سرقت ومسخت وغلطت وأخطأت . تراه قد ابتلع لسانه واستخزى وانكسر، اذ ما عسى أن يقول ولا يحل هنا للذوق يختلف فيه ولاقديم أو جديد يهرب بأحدهما من أحدهما، فلا يكون الا أن توثقه كتاباً بالحقيقة وتلتيه في سجن الغلظة وهو سجين لا منفذ فيه الا الى محكمة خكم . . .

اتقدنا في السطور السادس أياتاً من قصيدة العقاد (يانديم التصبوات) صفحة ١٤٤ وقد راسلنا أحد الادباء يخبرنا أن الاربعة الايات الاولى من هذه القصيدة مسروقة من كتاب ألف ليلة !! ونحن لم نقرأ هذا الكتاب الا في الصبي ولا نذكر الا أن كل مانيه من الشعر مبتذل عني، فان صح أن العقاد سرق منه فقد أدرك شهرزاد الصباح . . .

في هذه الصفحة ١٤٤ أيات حسنة يشير بها الى معنى جميل، وهو أن الحبيب الذي أوتى الجمال في وجهه لا يأتي له، أو لا ينبغي له، أن ينتحل الوقار ويتظاهر بالغضب والتعديس والنقطوب فيقول :

واخذع جليسك بالنقوب قاتني أنا لا أغر بضاحك متكر
دييات توليك الطبيعة مسحة نما تروم من الوقار المقتري
أتم مباسمها وفيكم تنجلي للباس ضاحك كأن لم تكدر
مالت الطبيعة حين يضحك ثغرها ضحك سوى الوجه الصبوح المزهر

والقصيدة كلها مبنية على هذه المعاني كأنها ثروة طويلة حول كلمة أو كلمتين ومع أن هذه المعاني كثيرة في الشعر الاوروبي، فانك تجدتها بخاصة في كتابات أنا نول

فرانس حتى يمكن أن تعد مذهبا من مذاهبه . فمئذنه أن المرأة الجميلة (تناقض طبيعتها)
إذا لم تكن للجميع تحفة من تحف الفن ، وما أدراك ما الفن . عند هذا النابعة
الحيوانى . على أن أصل المعنى فى شعر ابن الرومى ، وقد تفنن العقاد هذه المرة فى السرقة
وكان لصاً كاص ، المخانظ ، وأصاب محفظة فيها خير

يقول ابن الرومى فى ممدوحه يستعطفه ويستميل وجهه رضاه :

بوجهك أضحي ذل شئ منورا وأبرز وجهها ضاحكا غير غاضب
فلا تبدله فى المغاضب ظالما فلم توث وجهاً مثله للمغاضب
هذا هو كلام العقاد بعينه نقله الى الغزل وتصرف فيه ومع ذلك جاء مضطربا
نازلا عن الاصل المسروق منه.

يقول العقاد لحبيبه (واخضع جليساك بالقطوب فانتى أنا الخ) فمن جليس
الحبيب غير محبة؟ كأنها مومس لها كل ساعة جليس . هلا قال . واخضع سواى بهذا
القطوب !!!

ويقول فى البيت الثانى (الوقار المفترى) بصيغة اسم الفاعل ، والمفترى الوقار
هو الحبيب لا الوقار يفترى نفسه ، فيجب أن تكون الكلمة بصيغة اسم المفعول مفتوحة
الراء ، وبذلك تسقط القافية . والبيت الثالث (أتم لباسها الخ) مع أنه من قول
ابن الرومى ، ولكنه كذلك من قول الآخر :

لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك فى فم الدنيا ابتسام

وفى البيت جعل الطبيعة مضحك فى الحبيب ، فهو اذن ثغرها . ولكنه فى البيت
الذى يليه جعل الحبيب ضحكا فى ثغر الطبيعة . فنقض على نفسه وكل هذا قد سلم منه
بيتا ابن الرومى كما رأيت . وقال المراحضى فى صفحة ٢١٣

يا ليت لى ألف قلب تغنيك عن كل قلب

وليت لى ألف عين تراك من كل صوب

يا لطيف يا لطيف . يدعو الرجل على نفسه بالمسخ والتشويه وان يجعله الله (من فوق
لنحت) رقعا من العيون ، فاذا أصيب مرة بالرمد جاؤوه بعربة سباخ محملة من (الشم)
أو بعربة رش مملوءة من مخلول البوريك وبحمار يحمل قطناً . فانه لا يكفى ألف عين أقل
من ذلك . ولم هذا كله ؟ ليسرق العقاد بيتاً واحداً من الشعر فيجعله بيتين ويسقط

هذه السقطة ويضحك الأدباء من غباوته . ومعنى البيت الأول أن لهذا الخنث الذي يحبه العقاد ألف عاشق فإذا كان لابد له من ألف عاشق ولا يقنع إلا بألف ، فالعقاد يتمنى أن يكون له ألف قلب ليقوم وحده مقام الألف . وانظر أى سخف هذا . ثم يريد أن يكون له أيضا ألف عين لينظره من ألف جهة ، فإذا صح أن الحبيب الخنث يجده ألف قلب تحبه فهل يصح في العقل أن الجهات ألف . . ؟ أم يظن العقاد أن تخرج عينه وتجرى وراء الحبيب فإذا كان هذا الحبيب في حلوان ثم رجع إلى القاهرة ثم كان في عماد الدين ثم مر في كل الشوارع ، خرجت عيون صاحب مرحاضه تجرى وأرسلت إليه بالنظر بطريقة لاسلكية ، فيكون حيث هو ملقى ، ومع ذلك يرى حبيبه في كل مكان ؟ والله لو قال العقاد كل بديع مبتكر ثم قال هذا السخف لسقط ، فكيف وهو لص سارق يسرق من أبى على الخاتمي قوله المشهور :

لى حبيب لو قيل لى ماتمنى ماتعديته ولو بالمنون
أشهى أن أحل فى كل قلب فأراه بلحظ كل العيون
قابلوا أيها القراء واحكموا . انكم لن تحكموا على صاحب مرحاضه الا بالجلد
ثمانين جلدة على الأقل

ويقول المراحضى في صفحة ٢٥٥ :

كيف لقلبي أن لا يحبك يا خدر نعيم بوشيه حافل
لأننا أعمى فأستريح ولا أنت من الحسن والصبي عاطل
بأى معنى عليك لا تعلق العـ ين وأنت المبرأ الكامل
مرة . بمعنى أن يكون له ألف عين ومرة . بمعنى أن يكون أعمى فيستريح ، ولا تعلق على هذه
الآيات بشئ . فانتا لا تظن أن فى أهل الذوق من الشعراء وأهل الحب من المتأدبين من يقول
لحبيبه (لأننا أعمى ولا وجهك قبيح فكيف لا أحبك ؟) . فالعقاد هو الذى جاء بهذا
للمعنى . أما الشعراء فيقولون كما قال صاحبهم :

يا حبيباً كله حسن لمحج كله نظـر

ومما هو من باب هذا العمى الشعري قول صاحب مرحاضه في صفحة ١٥٦ .

كأن ماسقى ماركبـت إلا لترعاك أو تأفلا

يعنى أو تعمى كما يأفل النجم ونعوذ بالله . ويريد من معنى ترعاك تراك وهو غلط

نهنأ على مثله فيما تقدم . والبيت بعد هذا كله مكسور ينقصه حرف في أول الشطر الثاني . وفي هذه الصفحة .

قيح يعنى أن تنظرا ولكن لعينك أن تقتلا

وهو من قول ابن الرومى مسخه العقاد أقبح مسخ

عنى لعينك حين تنظر مقتل لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحداً هو منك سهم وهو منى مقتل

والعقاد يكثر في شعره من معنى واحد يرقعه في كل مكان برقعة جديدة ، وهو أن

الحسن يدعو الى الحب بل الى الخطيئة وان مايدعو العاشق من المعشوق هو الذى

ينهى المعشوق عن العاشق . وكل هذا من قول المعرى

مابال داعى غرامى حين يأمرنى بأن أكابد حر الوجد ينهاها

وقول ابن الفارض :

والى عشقتك الجمال دعاه فالى هجره ترى من دعاها

وقول ابن الرومى :

لها ناظر بالسحر فى القلب نافث ووجهه على كسب الخطيئات باعث

وقد مرت الإشارة الى بعض هذا المعنى فى السفود الأول فلندع كل ماجاء فيه

من شعر العقاد وفى الصفحة عينها ١٥٦ يقول المراحضى

ولح أنت فى صحراء الزمان نهر أبيض الصدى سلسلا

حرك الحياء من الصحراء وهى من أقبح الضرورات . بل لا معنى لها . وكان

يستطيع أن يقول : ولح فوق صحراء هذا الزمان ، ويقول بعده

فان قاربك شفاء الظلم عجت وأعجب أن تجهلا

والمعنى أن جمال هذا الحبيب كنهه فى الصحراء يبيع ظننا من يراه فان دنت منه

شفاء الظلمتين عجب من دنوها . والاعجب أن يجهل . يجهل ماذا ؟ إنها كلمة من الحشو

وكان شاعها أن تمنع لا أن تجهل .

ثم الصحراء اذا كان فيها (نهر) لم تبق صحراء فان كان يريد السراب الخادع

فهذا يبيع الصدى . لكن لا يمكن أن تقر به الشفاء لانه تخيل . فالمعنى فاسد من اللاحقين

كما ترى والصواب قول ابن الرومى :

كلامك أكذب من يلعب بخياله بالضحي صحح

وفي آخر هذه القصيدة يقول المراحضى :

لقد كان وجه الثرى جنة من القبح لو من جمال خلا

إن كانت (جنة) بفتح الجيم فلا ندري كيف يكون وجه الارض جنة من القبح لو خلا من الجمال ، إذ لا يمكن أن توجد جنة من القبح الا في وهم مثل هذا الرقيق الفاسد التخيل . وإن كانت بضم الجيم بمعنى الوقاية فهذا أشد فسادا من الاول . وإن كانت بالكسر بمعنى الجن فالمعنى مضحك ويكون هكذا : لقد كان وجه الارض جنة لو خلا من الجمال . وعلى كل حال فمخالفا من الجمال فهو بالطبع من القبح . فهاذا يريد المراحضى أن يقول ؟

وفي صفحة ٢٩٥ : أيراك باكية وأنت ضياؤه ونعيم عيشي كله بيدك وعزيزة تلك الدموع فليتها يقنوا قطيرتها نظيم سليك

قطيرتها مصغر قطرها وسليك مصغر سالك ويقنوا يكون لها قنوا كقنوا الموز وهو العود الذى تنبت فيه أصابع الموز والمعنى أن دموعها عزيزة ليتها سليك يكون قنوا لقطيرتها ولم يبق لتمام العزيمة حتى يحضر خادم هذا الطلسم الا أن يقول المراحضى بعد ذلك

فيجئ جلجل جلجلوت جلجلت يضع القطيرة في السليك لديك

وقال في صفحة ١٠٦ : ونهراً كمرآة مبهجورة على وجهه من جواهرها الشر يصف النهر في الشتاء لأن رعدة النسيم تجدد وجهه ولكن لا يكاد أحد يشهم كيف يكون على وجه النهر أشير من جوى المرأة المبهجورة ؟ فالصواب على وجهها أى وجه مرآة المبهجورة . ويبتنى أن مرآة المبهجورة لا يكون على وجهها من جوى هذه المبهجورة شئ لأنها مرآة من البللور لا من اللحم والدم حتى يمكن أن تظهر فيها صفرة ونشول

أمال إليه المعنى يا ترى ؟ المعنى يعرفه هذا اللص ولم يستطع قلبه كعادته دائماً وهو للخالدي الكبير يصف البدر وقد غشاه نعيم رقيق فيقول :

والبدر منتقب بغيض هو فيه بين تحفر وتخرج

كتنهد الحناء في مآآتها كملت محاسنها ولم تتزوج

هذا هو الوصف التام البديع لأن الحناء التى كملت محاسنها ولم تتزوج متى رأت

جمالها في المرأة تهتد فيغشى المرأة غيم رقيق يلوح وجهها من تحته كالبدن في نقاب الغيم . أما بيت العقاد فهيأت أن يفهمه أحد إلا إذا وقف على هذا الأصل يفهمه حينئذ ليرميه في وجهه و يقول له (غور يا شيخ)

في ديوان هذا المراحضى آيات منسجمة حسنة السبك كأنها من سائر شعره بقايا مبذية في خرائب متهدمة . وأكثر شعره ركيك يلتوى فيه المعنى أو يضطرب السبك أو يقتصر اللفظ عن الأداء فاما ظهر الكلام غامضا لا يفهم أو ناقصا لا يبين أو معتدلا يخلص ، اما جاء لغواً وهديانا أو قريبا منهما وعلى هذه الوجوه أكثر شعره .

والسبب في ذلك تعويله على السرعة والترجمة واجتهاده في اخفائها ولا يكون اخفاء السرعة إلا بتحويل المعنى أو النقص منه وقلبا يفلح العقاد في هذه الناحية لأنه لا يستطيع ان يزيد في المعنى المسروق أو يحمي به أحسن من أصله كما عرفت في كل ما أوردها من سرقاته فكلها نازل منحنط . أما إخفاء الترجمة فيكون بالتصرف فيها وبهذا يفقد المعنى جماله الشعري أو الفلسفي أو البياني ويحمي ، فالمعنى المسروق مضطربا ناقصا مخبأ الوجه كيلا يعرف فضلا عن أن ترجمة الشعر الاوروبي شعرا عربيا قلما تخلص إلا للافذاذ من أهل البيان العربي و القادرين على اخضاع هذه اللغة والمتكئين من أسرار ألفاظها والمزدهنين في أدبهم عقولا بيانية وليس في العقاد من هذا كله شيء وهو يعرفه ويقر به ولا يكابر فيه لأنه لا يدعى انه (جبار ذهن) إلا من الناحية العقلية المحضة ويحتسب هذه العقلية شيئا غير البيان وهنا موضع من مواضع جماله فان شكسبير او غوته او شلراو بيرون او شيللى او هييجواو طاغور او سواهم من جبابرة الأدب في العالم لم ينبغ بهم العقل المحض بل العقل البياني وحده اى العقل المخلوق للتفسير والتوليد وتلقى الوحي وأدائه واعتصار المعنى من كل مادة وإدارة الاسلوب على كل ما يتصل به من المعاني والآراء لينقلها من خلقتها وصيغها العالمية الى خلق انسان بعينه هو هذا العبقري . فكل الذين ينكرون على البيان والاسلوب واللغة من العقاد وأمثاله انما يفضحون جهلهم وتقصيرهم ويثبتون انهم في غمار اللبس وانهم لا يصلحون للعبقرية الادبية ولا تصلح لهم أو لا تصلح بهم . وبما علمت من ضعف العقاد في هذه الناحية تعلم السبب في ركاكته وتعقيداته انه لا يفلح لا مترجم شعر ولا سارق

شعر مع أن تعويله إنما هو على الترجمة والسرقة وعلى إفسادهما لا خفائهما، فكل ما أصبته في شعر هذا المراحضى من معنى معتد أو نظم ملتو أو بيان ناقص أو سبك غير مختصر، فاعلم أن هناك موضع ترجمة أو موضع سرقة لا بد من أحدهما . ولا تتخلف هذه القاعدة في شعر العقاد مطلقاً وهي مفتاح سر من أسرارها قد وضعناه في يدك .

ونعود فنفتح الديوان . يقول صاحب مرحاضه في صفحة ١٥٨ :

سفاها لعمري عدنا الخطو بعده اذا كان لا يدنو بنا من مؤمل

يريد العام الجديد ومع هذه الرثاكة فقوله (سفاهاً) لحن ويجب أن تكون مرفوعة لأنها خبر مبتدؤه قوله « عدنا الخطو » . ولكن الخبر اشبه عليه بالمفعول لاجله فنصبه وفي هذه الصفحة يقول :

دعوني أسر في ساحة العيش مفرداً مغنى فلا أدري مصيرى وأولى
هنا يريد العقاد أن يكون كبهيمة الساقية أو دابة الطاحون سير (مغنى) مغطى العينين وهم يفعلون ذلك بالبهيمة حتى لا ترى أنها تضرب في دائرة لا تعداها فتقف بل تظن أنها سائرة سيراً طويلاً مطرداً مع أنها طول نهارها في بضعة أمتار .
والمعنى عجيب يلائم ذوق المراحضى ولكن اذا غمى هذا المراحضى وعنى عن المستقبل والمصير فهل تراه يعنى عن الماضى ؟ أم هو يريد أن يسلبه الله الذاكرة أيضاً ! . . .

و يقول في صفحة ١٥٣ :

تخاف بعضهم بعضاً ويمنعهم دونى مغافر أقدار وأقذاء

يريد شبان مصر ! وقد فسر المغافر في الشرح بالدروع وما هى بها بل المغفر ما يجعل أسفل البيضة على الرأس من زرد أو ديباج أو خز أو غيرها ليقى الرأس من حديد البيضة . ومن هذه المادة الغفارة بالكسر - خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها وهى (الطرحة) عند العامة . والعقاد يستعمل المغفر دائماً بمعنى الدرع وهو جهل عجيب .

وهو فى البيت الذى أوردناه يسب نفسه من حيث لا يدري لأنه اذا كان شبان مصر تمنعهم دونه دروع أقدار وأقذاء ، فهذه الدروع لا تكون إلا عليه هو لأنهم يقفون (دونه) ولا يقتحمونه لما كان هذه الدروع التي تحميه منهم وتمنعهم من دونه ، مع انه يريد العكس وانهم هم ممنوعون منه وهو الممتع دونه .

والمعنى أن مقاديرهم تحميمهم فلا يمد المراحضى يده إليهم لئلا يصيبه منهم القدر وهو معنى بارد ولم يحسن سرقة كمادته فانه من قول القائل :

نجا بك عرضك منجى الذباب حمت مقاديره أن ينالا

فيأشبان مصر هكذا بصفكم العقاد ويشبهكم بالذباب الذى يشمئز الإنسان أن يناله يده وإن هاجمه

وقد نبهنا تفسير هذا اللغوى العظيم !! للبغافر بالدروع الى تتبع بعض شروحه اللغوية فى ديوانه فاذا الرجل لغوى جراند كما هو كاتب جراند وشاعر جراند وفيلسوف جراند وسباب جراند . وهو فى كل ذلك لا يساوى إلا ما يبلغ من جريرة بضع مايمات . ففشر فى صفحة ٢٤ : السوارى : فقال إنها العمدان وهذا الجمع فى لغة العامة لا غير وفى صفحة ٢٧ يقول « يا للساء البرزة المحجوبة » وفسر البرزة بقوله « البارزة الحسنة » والكلمة فى جملة معانيها ترجع الى المرأة التى تبرز للرجال تجالسهم وتحادثهم ولا تحتجب عنهم لقوة رأيها وعفافها وجلالها فى قومها أو لبروز محاسنها فترى أن لا تسترها كما كانت عائشة بنت طلحة ، ولا معنى أن تكون السماء (برزة) لأنها لا تكون إلا برزة وفى هذه الارجوزة يقول فى وصف السماء « كأنها الهاوية المقلوبة » ولا معنى (لهاوية) مع (مقلوبة) إذ هى حينئذ لا تهوى بقرارها ، وإنما ترتفع به فلا تسمى هاوية فضلا عن أنه لا يدخل فى التصور أن تكون الهاوية مقلوبة والمعنى مسروق من وصف تركى مشهور يشبهون فيه قبة السماء بالكأس المقلوبة وهو تشبيه بديع ووصف منطبق فظن المراحضى أن السماء لكونها كبر من الكأس !!! لا يحسن فى تشبيهها الا الهاوية . ولكن أين الصفاء والنور ، وما من وجوه الشبه فى الكأس إذ تشبه السماء الزجاج - ولا صفاء ولا نور فى الهاوية إذ هى إنخساف فى الارض لا إنخساف عقل المراحضى الذى لا يميز فى التشبيه بين الكأس والهاوية

فى صفحة ٣٩ يقول فى الشرح : خلق لكل عضو قرين فى الجسم الا القلب فانه مفرد لا يكمل الا بقلب آخر . وهذا كذب ولكنه صدق فى العقاد وحده لأنه رجل ذو وجهين !!! وذو لسانين !! كما يعلم من يعلم . وفى صفحة ٤٢ يقول الدساتين جمع دستان وهو الوتر (وتر العود ونحوه) وإنما الدساتين هى هذه الخشبات

التي تلوى عليها الاوتار ويسمى أهل الصناعة (الملاوى)

وفي صفحة ٤٣ يقول في شرح هذا البيت

والشعر السنة تفضى الحياة بها إلى الحياة بما يطويه كتان

فيقول في الشرح : إنما يتكلم الشاعر ويسمعه السامع بالحياة المستقرة لا كل منهما (فهل يتكلم الميت) ؟ . فكان الحياة إنما تخاطب نفسها !!! بالشعر !!! (وتخاطب

من بالنثر يا صاحب مرحاضه ؟) والحياة بغير الشعر جميلة ولكنها كالخساء الخرساء

والشعر يدوم مادامت الحياة في الانسان أو غير الانسان !!! (فالخمار شاعر مثل العقاد

مادام كلاهما حيا وبرهان أن كليهما شاعر هـ ران كليهما حيا) وأن صرير الجندب

ونعيق الضفدع في الليلة القمراء لهما ضرب من الشعر لأنهما لسان ما في الجندب

والضفدع من حياة وجمال !!! (وكذلك نهيق الخمار ضرب من الشعر الخ الخ) أنظر

أيها القارىء أى شرح هذا وأى بيت ذاك وكذلك يفعل المراحضى حين يعجز عن

ابراز المعنى فيعمد الى الشرح بمثل هذا الهذيان الفلسفى الذى يغر تلاميذ المدارس

وبعض كتاب الجرائد . والمعنى الذى يريد العقاد مسروق من التصوف فان الصوفية

يقررون فى كلامهم كل ما جاء فى هذه القصيدة من مثل هذه المعانى حتى قال بعضهم :

لا يكمل المرید حتى يكون ما يسمعه من نهيق الخمار كالذى يسمعه من دواخل

المغنيين (١)

(١) كلمة دواخل هذه من الكلمات العامة القديمة التى أميتت وكانوا يريدون بها

مشاهير المطربين ومنها قول الشيخة زعزوعة زجالة مصر فى عهدىها وهو من أقدم الزجل

داوخل مصر فى قاعه حداثم بنت جنكية

وزعزوعة ترقصهم على شامى وشامية

فحبذا لو أحييت هذه اللفظة فان فيها معانى نفسية ظاهرة وان كان اصل اشتقاقها

بعيدا عن ذلك :

قال صاحب شفاء الغليل : والمحدثون يسمون حسن الصوت دخولا ويسمون

ضده خروجاء كأنه لخروجه عن الايقاع والضرب . وهذا على حرف . ثم قالوا داخل

ودواخل واطلقوها على المطربين ، وما يسمى خروجاء وما يسمى كتاب اليوم نشوزا

وفي صفحة ٣٧ ينشر : والروض بالاثمار فينان . قال فينان ممثر ولا معنى للشمر
هنا ولا هو مما تعطيه المادة لان فينان الطويل كالشعر والغصون وما اشبهها .
وفي صفحة ٥٤ يقول : الخوف فيها والسطا سيان . ضبط السطا بضم السين وفسرها
بأنها جمع سطوة ولعلها جمع جملة او جمع غفلة !!! لاجمع سطوة . وهذه السطا يكررها
العقاد ولا أصل لها في اللغة

وفي صفحة ٦٤ يفسر الموق (موق العين) فيقول : الموق الحدق فغلط
في هذه الكلمة غلطتين لان الحدق جمع حدقة ولا يكون الموق عيوناً كثيرة . ثم ان
الموق هو طرف العين مما يلي الأنف وهو الذى يجرى فيه اندمع فما هو بالحدقة فضلاً
عن الحدق .

وفي صفحة ٧٢ يقول في وصف الزهرة (النجم) :
أشعة ينبثقن شتى كأنها عذق ياسمين
أراك تغويننى بوحى إلى السموات يزدهين
اغواء ذات الدلال صيئت في ذروة المعقل الحصين

فسر العذق بأنه فرع . والعذق لا يقال لما فيه زهر ، فعذق النخلة (سباطها) وكان
يجب ان يقول كأنه غصن ياسمين . ولكن من بلادة ذوق هذا الرجل تراه يستعمل
اللفظاً كثيرة يتباصر بها كأنه من المولعين بالعريب وما به ذلك ولكن به ان يعلم
تلاميذ المدارس ومحررو الجرائد انه لغوى عظيم وان جاء بالالفاظ الجافية والمهجورة
أو المماتة . وله من هذا كثير بارد سخي .

وشرح البيت الثالث فقال : كأن الزهرة وهى تلعب للناس من أعلى السماء وتغويهم
للصعود اليها !!! حسناء تنصبي اليها المارة من أعلى حصن !!! ودون الوصول اليها
حراس وأسوار !!! قلنا ومع ذلك فيمكنك ذلك الحصن وأسواره وقتل حراسه والوصول
اليها فهل يمكن ذلك الصعود الى الزهرة ؟

الحقيقة والله ان العقاد فى منتهى السخف وان فيه روحاً ثقيلة ركيكة لا تدرى
أضربت على جسمها أم ضرب جسمها عليها ؟

وفي صفحة ٩٢ يقول : الوادى الجدس . ويفسره بأنه المجدب ولم يرد فى اللغة الا
الجداس بهذا المعنى . ولكن العقاد يتصرف كأن اللغة أخبار تجيئه للنشر فهنا يقول

في جادس جديس وفي صفحة ٧١ يقول في صدى. (صاىء) « هيات تصقل صاىءا » فما عليه بعد هذا أن يقول حاسن في حسن وجمال في جميل وهكذا.

وفي صفحة ١٣٩ يقول : وبينك الملوك وصالاء وفسر وصالاء بقوله متواصلين فيكون جمع ماذا؟ جمع واصل أم جمع وصل اشتراك!!! ومن الذى يقول قوم وصال أى متواصلون غير العقاد المراحضى؟ وفي صفحة ١٤٥ يقول
صفه في عيني وما تعدو به وصف الاضاءة

فسر الاضاءة بانها المرأة وانما هي الغدير يعكس ماؤه مايرى فيه وظاهر انه لايريد في بيته بل يريد المرأة وأين المرأة من الغدير؟ وفي صفحة ١٦١ يقول .
واشتقنا الحياة دوالياً ، وفسرها بالتداول ولا معنى لها الا في ديوانه !!!

وفي صفحة ١٦٥ قال : « حسن النجوم في الافق تترى » وفسر تترى فقال تتوالى
يعنى انها عنده من ترى تترى فهو تار أو ترن ترن !!!! ما هذه المخازى اللغوية باصاحب
مرحاضه ؟ إن تترى اسم ممنوع من الصرف لافعل مضارع ، قال الراغب في
مفرداته في معنى قوله تعالى « ثم أرسلنا رسلاً تترى » : تترى على فعلى من الموازنة
أى المتابعة وترا وترا وأصلها واو فأبدلت نحو ترات وتجاه (١) . فمن صرفها جعل
الالف زائدة لا للتأنيث ومن لم يصرفها جعل الفه للتأنيث . وقال القراء يقال تترى
(بالتنوين) في الرفع وتترى (بالتنوين) في الجر وتترى (بدون تنوين) في
النصب والالف فيه بدل من التنوين .

فيا صاحب مرحاضه مالك وللشرح واللغة وأنت لا تفرق بين الاسم والفعل في كلمة
مشبورة واردة في القرآن الكريم . أما والله لقد خرج شرحك على ديوانك
كشرح أبى شادوف !!

وقد سمعنا هذه الاغاليط فقف منها عند هذا الحد . ومن عامية هذا العقاد
أنه يستعمل في نظمه عمدان جمع عمود ورجل عميان أى اعمى وشعلان من شعل وسأمان
من السأم وعزقان وكظان من الكظلة وخيطان جمع خيط . كل ذلك عامي لا يعرف
في اللغة وله مثل هذا كثير

(١) يريد ان أصلها من وتر فأبدلت الواو تاء كما في تراث وهو من ورث وتجاه

وهو من وجه

ولنفتح صفحته أيضا. قال المراحضى فى صفحة ١٢٤ يطلب صورة حبيب:
 آه لو يقرب البعيد وآه لو تدانى البعيد من أوطاري
 أأقاسى بعدين بعدا من اليأس على قربكم وبعد الديار
 يا حبيبى وهل يكون حبيبا من بلائى بحبه واشتهارى
 برد القلب الخ ..

برد يا حبيب المراحضى برد فما انت والله الأبرد منه!! ما أنت إلا لوح ثلج (يا بعيد)
 ألا تراه يقول آه لو يقرب (البعيد) .. ليت شعرى كيف خذلت العقاد عانيته الأصلية
 فى هذا مع أن النكتة فى (البعيد) ظاهرة كل الظهور؟
 ثم يقول إنه يقاسى بعد اليأس على أن الحبيب قريب وبعد الديار فكيف يكون
 قريبا مع بعد الديار؟

ان هذا ينقص ذاك. والمعنى مسروق محول من قول ابن الرومى فى الرثاء
 طواه الردى عنى فاضحى مزاره بعيدا على قرب قريبا على بعد
 والمراحضى يذكر بعدين سخيقيين لأن اليأس ليس بعدا بل اذا كان كما قالوا إحدى
 الراحقين فهو ولا جرم أحد القربين أو أحد الوصلين ، وانظر ان هذا من قول الشاعر
 المبدع الذى يعرف الحب ويعرفه الحب

يا غائبا بوصاله وكتابه هل يرتجى من غيبتيك إياب
 آه لو كان هذا الشاعر قال :

«أما لاحدى غيبتيك إياب ، لجن العشاق بكلامه .
 والبيت الثالث للمراحضى فى نهاية الركعة وأصل هذا المعنى فى قول الأراجاني:
 اذا رممت قلى وانتم أحبة فماذا الذى أخشى اذا كنتم عدى
 وفى صفحة ١٧٥ يقول:

لازمتني فى جفوتى وتسهدى خفيف يساور أو سواد عابر
 وهو لحن اذ يجب أن يقال طيفا وسوادا عابرا ولا سبيل غير ذلك لانهما بيان للحالى
 الملازمة فى النوم والسهد . ثم اذا لازمه حبيب طيفا فى نومه فما معنى «سواد عابر»
 فى السهد والاراق ؟ يكونش العناد بتغزل فى خفير الحارة!!؟ لانه وحده السواد
 العابر طول الليل فى يتخذة المراحضى

وفي صفحة ٦١ يقول :

فطلع لاني عن البدر طرفه فقلت حياء ما أرى أم تغاضيا
وهو لحن اذ يجب ان يقال حياء ام تغاض بالرفع لا غير لتم الجملة التي هي
مقول القول .

وهذه القصيدة كلها معان ممسوخة ولذلك خرجت من أبرد شعره أنظر قوله .

وألهمه كيما أبرد غلتي وهيئات لا تلقى مع النار راوياً
يريد أن ثغريه نار كأن حبيبه هذا غرن !!! أين هذا من قول ابن الرومي :
أعانتها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني
وألهم فاهها كي تزول حرارتي فيشتد ما التقى من الهيان
وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما تلثم الشفتان
كأن فوادي ليس يشفي غليله سوى أن يرى الروحين تمتزجان

هذا وأبيك الشعر والبيت الأول وحده بخمسة وعشرين عقاداً وقد مسخه هذا
المغرور في قصيدته أيضاً .

وتقف عند أبيات ابن الرومي هذه ليفرغ القارىء من نورها على روحه فترفض
عنها أقذار شعر المراحضي فإن كلام هذا الثقيل لوظفرت به الكيمياء الحديثة
لأخرجت منه غازات ملوثة . وغازات مقيئة وغازات للصداع وغازات خائفة . والعقاد
يعلم بعد الآن أنه في شعره ومقالاته كالمستقع في قرية . وهو ان كان عند نفسه
أقيانوس القرية وصبيانها !!! ولكنه ليس كذلك لافي العلم ولا في الحق ولا عند غير
الصيان ، ولا يفعه شيئاً أن يستدل على أنه أقيانوس بتلك البواخر العظيمة التي يسميها
بواخر ويسميها الناس ضفادع

(العصور) أعجب الأدباء على اختلافهم — ماعدا العقاد طبعاً — بهذه السفافيد
التي لم يكتب مثلها في باب النقد ، والخوا علينا في طبعها كتاباً على حدة وسنزل على
رغبتهم ونصدر كتاب السفود قريباً خاصاً بالعقاد وحده مفتتحاً بمقدمة طريفة بقلم
العقاد نفسه !!! وأخرى لكاتب السفود وثالثة لصاحب العصور . ونحن واثقون أننا
بذلك نخدم الأدب العربي خدمة لم يؤدها أحد قبل الآن ولا يرجي أن يتحول ويتجدد
الابناء ، لأنها من جهة تصحح أحكام القراء وتضع في أيديهم الميزان الصحيح للنقد ،
ومن جهة أخرى تبصر الادباء بعيوبهم التي أعماهم عنها الغرور .